شرح العقيدة القيروانية 13

قال **القاضي عبد الوهاب (ت: 422)**: وقوله ﷺ "وأبرزه إلى رفقه" يرجع إلى ما ذكرناه من توفيقه لمعرفته، وهدايته للإيمان به، وغير ذلك من تفضله عليه وإحسانه إليه، وكذلك ما يسّر له من رزقه مما علم[1] أنه يصيبه مدّة حياته، ويقيم جسده إلى حين قبضه، فما أدركه من ذلك فهو رزقه الميسر له، وما فاته علم أنه لم يكن له رزقا له؛ لأنه لو كان قد رزقه لم يفته؛ لأنه تعالى إذا يسر للعبد شيئا لم يكن بد من وصوله إليه إذ لا راد لقضائه، ولا معقب لحكم، ولا مصعّب لتيسيره، ولا مسهل لتعسيره، جلّ ثناؤه، وتقدّس أسماؤه.اهـ[2]

لا يلزم من التيسير التوفيق، فالله يسّر لعبده ما ينفعه في دينه ودنياه، لمن أراد أن يسلكه، كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: 17]

قال **محمد بن سلامة (ت: 746)**: أي أخرجه وأظهره من الضيق وظلمة الأحشاء إلى الموضع الواسع، ويسمى الموضع الواسع البراز، وخلق الله تعالى في قلوب عباده الرفق به والشفقة عليه، ويسّر له رزقا ليّنا في ثديي أمه متوسطا بين الملوحة والعذوبة، باردا في الصيف حارا في الشتاء، يخرج من عرقين يتغدى من أحدهما ويشرب من الآخر، وتكفل برزقه مدة حياته، ودفع عنه ما لا يستطيع دفعه عن نفسه؛ منّة منه تعالى عليه ولطفا به.اهـ[3]

وقال **أبو الحسن علي بن محمد (ت: 739)**: والضمير المستتر في "أبرزه" عائد إلى الله تعالى والبارز على الإنسان و [الضمير "هـ"[4]] المجرور بالإضافة في "إلى رفقه" يحتمل عوده إلى الله تعالى وعلى الإنسان، فمن نظر إلى رفق الإنسان به جعله عائدا على الإنسان، ومن نظر إلى أن الله تعالى جعل له ذلك أعاده عليه، ومعنى أبرز أظهر، والرفق في جميع ما يرتفق به.

"و" أبرزه إلى "ما" أي الذي "يسره" الله "له من رزقه" من حلال وحرام.اهـ[5]

قال **ابن أبي زيد**: وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيما.اهـ[6]

سبق في المقدمة أن ابن أبي زيد يستعمل لفظ الوحيين، ولفظه مقتبس من قوله تعالى لنبيه ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: 113] وقال ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ

---

[1] أي علم الإنسان بعد انقضاء أجله

[2] شرح عقيده الرسالة ص: 11

[3] النكت المفيدة في شرح الخطبة والعقيدة ص: 50 – 51 وتبعه ابن ناجي 1 / 7 والقلشاني ص: 55 – 56 وزروق 1 / 14 والتتائي 1 / 62

[4] زيادة للتوضيح

[5] كفاية الطالب الرباني 1 / 17 – 18

[6] الرسالة ص: 72

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [القصص: 44 – 46] وعلّم النبي ﷺ أمته هذا العلم، واستجاب الله بدعوة نبيه إبراهيم عليه السلام ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: 129] وامتن به عليهم ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: 151] وحذره أن يترك هذا العلم ليرضي أهل الكتاب والمشركين فقال ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: 120] وقال ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة: 145]

وينسحب هذا الكلام على أمته الذين ورثهم ﷺ علمه، لكن بسبب تأخر المسلمين وضعفهم حتى غزاهم الكفار واحتلوا بلادهم بعد تفريق الأمة وتمزيقها إلى دويلات أساء الظن كثير من المسلمين بشريعة الإسلام، ورأوها سبب تخلفهم لا الشهوات والبدع التي عمّت، ولهم اتجاهان:

المعاداة الصريحة للإسلام ولتاريخ الأمة: وهم صنفان، تبعا للقوتين السائدتين، المذهب الشيوعي الاشتراكي، والغربي الرأسمالي

المعادات الخفية للإسلام ولتاريخ الأمة: وذلك بتحريف القرآن، بدعوى التأويل من أجل تنزيه القرآن عن التخلف، فهؤلاء يلبسون لباس الدفاع عن الإسلام

قال **المعلمي عبد الرحمن بن يحيى (ت: 1386)**: فإن أضرّ الناس على الإسلام والمسلمين هم **المحامون الاستسلاميون**، يطعن الأعداء في عقيدة من عقائد الإسلام أو حكم من أحكامه ونحو ذلك فلا يكون عند أولئك المحامين من الإيمان واليقين والعلم الراسخ بالدين والاستحقاق لعون الله وتأييده ما يثبتهم على الحق ويهديهم إلى دفع الشبهة، فيلجؤون إلى الاستسلام بنظام، ونظام المتقدمين التحريف، و نظام المتوسطين زعم أن النصوص النقلية لا تفيد اليقين والمطلوب في أصول الدين اليقين، فعزلوا كتاب الله وسنة رسوله عن أصول الدين، ونظام بعض العصريين التشذيب ...

على أن أولئك الذين سميتهم "**محامين**" كثيرا ما يكونون هم الخصوم، والباطل جشع، وقد قال الله تبارك وتعالى ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ [المؤمنون: 71] وقال ﷻ ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ﴾ [البقرة: 120] وقال سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: 100 – 101] والرسول فينا بسنته، وقال ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ

وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴿٢١٧﴾ [البقرة: 217].اهـ[7]

ولا يختص هذا بالعقائد والأحكام، بل تعداه إلى المسائل العلمية كـ "**علم الفلك**" الذي يتعارض مع ما في كتاب الله، وكثير من المسلمين يسخرون ممن يعارض علم الفلك تمسكا بكتاب الله

فالمحروم من أعرض عن العلم المعصوم لأجل نظريات اجتماعية وسياسية وإنسانية جاهلية وفرضيات علمية تخدم الإلحاد وإنكار الرب قال **الشافعي محمد بن إدريس (ت: 204)**: فكل ما أنزل في كتابه جل ثناؤه رحمة وحجة علمه من علمه وجهله من جهله لا يعلم من جهله ولا يجهل من علمه، رضي الله تعالى عنه والناس في العلم طبقات موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به، فحق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه والصبر على كل عارض دون طلبه وإخلاص النية لله في استدراك علمه نصا واستنباطا والرغبة إلى الله في العون عليه فإنه لا يدرك خير إلا بعونه، فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصا واستدلالا ووفقه الله للقول والعمل بما علمنه فاز بالفضيلة في دينه ودنياه وانتفت عنه الريب ونورت في قلبه الحكمة واستوجب في الدين موضع الإمامة.اهـ[8]

---

[7] الأنوار الكاشفة 12 / 23 – 24 [آثار المعلمي]

[8] الرسالة ص: 19